الإســـلام والغـــرب
من حوار الثقافات إلى صدام الحضارات

الدكتور عبد العالي دبلة
الدكتور بلقاسم سلاطنية
قسم علم الاجتماع
جامعة محمد خيضر
بسكرة ــ الجزائر

مدخل:

على مر التاريخ ومنذ أن ظهر الإسلام كمنظومة دينية وفكرية وحضارية بل وواقع مادي بداية من دولة المدينة التي أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا فان العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي أو ما يعرف بالغرب حاليا فان العلاقة بين العالمين عرفت علاقات من الصدام والمواجهة بلغت ذروتها في الحروب الصليبية وأخرى من الحوار جسدها بعض المفكرين من العالم العربي والإسلامي بداية من ابن رشد الذي أفضى تأثيره في الغرب إلى تكوين ما يسمى بالمدرسة الرشدية اللاتينية ومرورا ببعض المستشرقين الموضوعيين المعاصرين "ماكسيم رودنسون ، جاك بيرك ......، ومفكرين آخرين مثل روجيه غارودي ، هذا لم يمنع من ظهور بعض المفكرين الغربيين -المتشبعين بالفكر الاستشراقي غير الموضوعي – والذين يفهم من خلال كتاباتهم انهم يدعون إلى الصدام مثل " أرنست رينان وبرنار لويس الذي يستشهد به هنتنغتون في أطروحته عن صدام الحضارات هذا الأخير يبدو أنه هو الذي أثار هذا الموضوع من جديد وهذا عبر أطروحته المثيرة للجدل صدام الحضارات رغم أن هنتنغتون سبق وأن طرح في الثمانينات فكرة خطر الإسلام على المسيحية والحركة الصهيونية .

والبحث في مجمله يريد مناقشة الأطروحات الأخيرة التي ظهرت في السنوات الأخيرة والتي تضع الإسلام والغرب على طرفي نقيض والتي تذهب أيضا إلى أن الإسلام سيمثل مستقبلا الخطر الأخضر- بعد زوال الخطر الأحمر "الشيوعية "- بالنسبة للغرب . وقد عملت أحداث 11 سبتمبر على تعميق هذا الطرح وأصبح ينظر إلى كل إسلامي وخاصة كل

عربي على أنه إرهابي وأصولي و متعصب وعدو للغرب . يبدو أن تاريخ الحادي عشر من سبتمبر 2001 ومن خلال ردود الفعل التي أعقبته سيكون له تأثير كبير على العلاقة بين الإسلام والغرب وهذا على المدى القريب والمتوسط ، هذا إذا لم تسع الدول العربية والإسلامية اتخاذ الاستراتيجيات اللازمة لمواجهة كل الاحتمالات .

وقد لعبت وسائل الإعلام الغربية دورا محددا في هذا المجال –أي في تأزم العلاقة بين العالمين العربي الإسلامي والغرب – وهذا باعتراف حتى الغربيين الموضوعيين ناهيك عن المفكرين العرب حيث استطاعت وسائل الإعلام بشتى صورها أن تخلق وعيا غربيا معاديا للإسلام إلى درجة أن تحول الخوف من الإسلام إلى خواف وتحول هذا الخواف الإسلامي إلى خواف عربي كما يؤكد ذلك هشام جعيط(هشام جعيط،1995،ص41) وقد أوضح ادوارد سعيد في كتابه تغطية الإسلام هذا الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الغربية (ادوارد سعيد،1983)

والبحث ينطلق من تساؤل رئيس **وهو من المسؤول عن هذه الصورة النمطية التي ترى في العربي والإسلامي التخلف والدونية والعصبية والإرهاب** ....؟ وهو بذلك عدو للحضارة الغربية ومن خلال هذا التساؤل يحاول البحث الوصول إلى أن الغرب وحده ليس المسؤول عن هذه الصورة ، بل العبء الأكبر يقع على المفكرين العرب الذي وضعوا أنفسهم داخل سياج معرفي وفق أطروحة أركون ولم يحاولوا الخروج منه ويخترقوا الغرب من داخله وربما يكون محمد أركون استثناء في ذلك ،فعقدة التفوق الغربي جعلت الكثير يخاف من مواجهة الغرب وخاصة وأن الغرب هو نموذج التقدم والتطور والحداثة ، ومن جهة ثانية شكل التراث العربي الإسلامي لكثير من مفكرينا عبئا ثقيلا في ذلك وتحولنا في كثير من الأحيان إلى كائنات تراثية ، ومن جهة المستشرقين فيجب أن لا نهاجم المستشرقين ، رغم كثير من أطروحتهم المغلوطة والعنصرية و لكن اللوم والعتاب يقع على المفكرين العرب الذين تركوا الساحة واسعة لهم ، فهل كان بوسعنا أن نمنعهم من القيام بهذه الدراسات التي أرى شخصيا أن فائدتها أكثر من مضارها فلقد بينا لنا المستشرقون عبر أبحاثهم للمجتمعات العربية الشرق الأوسط وشمال إفريقيا المناهج العلمية المطبقة في مجال العلوم الاجتماعية والتحاليل العلمية كيف تكون ، في حين كانت دراساتنا أكثر عاطفية وانفعالية اكثر منها علمية.

إن العيب فينا وفي بنائنا الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي ، فقد انتهى زمن أطروحات نظرية التبعية .فالغرب واقع مادي وفكري موجود أمامنا وقد سبقنا إلى التطور والتقدم ويجب إن نستفيد من هذا فالصراع، لأن معالم الحضارة القادمة والتي بدأت تتشكل منذ التسعينات من القرن الماضي والصراع القادم بين الدول او الحضارات بلغة هنتنغتون سيكون صراعا معرفيا وعلميا وإعلاميا وفي كل مجالات المعرفة لذلك يجب أن لا تلهينا هذه الأفكار عن المستقبل مستقبل العالم العربي والمكانة التي يجب أن يحتلها في الخريطة المعرفية العالمية التي بدأت تتشكل الآن، بل يجب أن ننظر إلى المستقبل وفق رؤية خالية من الأحكام المسبقة ، رؤية استراتيجية تضع في الحسبان التغيرات التي تحدث الآن وستحدث مستقبلا واضعة كهدف أساس لها مصلحة العالم العربي ككتلة ثقافية – اقتصادية تواجه نفس التحديات و الصعوبات،ولا يجب أن تلهينا هذه الأطروحات عن أهم القضايا والتحديات الحقيقية لا الوهمية التي تواجه العالم العربي .

إن مشكلتنا الحقيقية هي مشكلة التخلف وليس مشكلة أن الغرب عدو الإسلام ، مشكلتنا في التجزؤ والتشتت العربي وليس البحث عن ما هي الأسباب التي تجعل الغرب يتخذ منا موقف العداوة . مشكلتنا هي أننا نواجه الغرب كدول منفردة وليس كعالم عربي أو عالم إسلامي له نفس التصور واستراتيجية موحدة . مشكلتنا في التخلف العلمي والمعرفي والتكنولوجي ، فالغرب الآن يعيش مرحلة معرفية جديدة -ما بعد الحداثة – ونحن لم تتمكن بعد من الحداثة .

إن الرهانات الحقيقية هي التي تجعل المفكرين العرب يركزون على المشاكل الحقيقية التي هي أساس تخلف عالمنا العربي والإسلامي ، والبحث عن الحلول الحقيقية والواقعية والعقلانية للخروج من هذه الوضعية التي طال أمدها، فمنذ عصر النهضة ومنذ جيل الطهطاوي ونحن نتحدث عن النهضة والحداثة ولكن لحد الآن لم نتمكن من ذلك .

أولا:الإسلام والغرب من الحوار الثقافي إلى الصدام الحضاري

على مر التاريخ كانت علاقة الإسلام بالغرب بين مد وجزر فتارة يغلب عليها الحوار والتعاون والتعايش السلمي ، وتارة أخرى تنحو نحو الصدام سوى على المستوى الفكري أو على المستوى الواقعي ،والسبق في بعث فكر الحوار يرجع من دون شك إلى فيلسوف قرطبة أبو الوليد ابن

رشد الذي استطاع بفكره الإنساني ومنهجه العقلي أن يبني جسورا لتلاقي الثقافات والأديان ، هذا ما سمح لفكر ابن رشد أن يهاجر إلى أوروبا ويجد من يحتضنه وقد أفضى في نهاية الأمر إلى تكوين مدرسة فكرية سميت بالرشدية اللاتينية التي تبنت منهجه في التفكير والتحليل وبذلك شكل فكر ابن رشد – على وجه الخصوص- أول جسر ثقافي يمتد من الحضارة العربية – الإسلامية إلى الحضارة المسيحية ، ولكن هذا التأثير لم يلبث طويلا فمع أفول نجم الحضارة العربية الإسلامية وبروز الحضارة الأوروبية لم يستمر هذا التواصل والتعايش ، فلقد أحست أوروبا بالتفوق والرغبة في الهيمنة والسيطرة ، وما لبث الأمر أن تحول إلى استعمار تم بموجبه استعمار أغلب الدول العربية ، في نفس الوقت الذي بدأ فيه نوع من المفكرين يهتمون بدراسة الحضارة الإسلامية أو ما أطلق عليه الدراسات الاستشراقية التي لعبت دورا كبيرا في ترسيخ الصورة التي كونها الغرب عن الإسلام والمسلمين والتي أعيد بعثها من جديد في شكل أطروحات يتزعمها مفكرون أكاديميون لهم وزنهم العلمي .

لقد صور جزء كبير من الفكر الاستشراقي العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية على أنها حضارة راكدة ومنغلقة بالمقارنة مع الحضارة الغربية ، ويقف على رأس هؤلاء المستشرقين " جيب ، بوين، لويس ، رينان ، فالحضارة وفق فكر هؤلاء المستشرقين إما أن تكون راكدة أو في انحطاط وبالتالي فالإسلام عاجز عن إنتاج معرفة علمية كافية بنفسه ..والإسلام يحتاج إلى العلم الغربي من أجل إنتاج المعرفة حول ثقافة العالم الإسلامي وتنظيمه الاجتماعي (بريان تيرنر ص 13-14) فلقد ساعد الفكر الاستشراقي غير الموضوعي والعنصري أحيانا في رسم أول صورة او بداية لصدام الحضارات التي أعاد بعثها من جديد هنتنغتون ، ويقف على رأس هؤلاء المستشرقين أرنست رينان الذي يمكن اعتبار أفكاره بمثابة البذور الأولى لصدام الحضارات كما هي مطروحة الآن على الساحة الفكرية العالمية فأرنست رينان بعيدا عن الروح العلمية وعن الموضوعية المنهجية يسخر قلمه لزرع التمييز العقدي على أساس أقل ما يقال فيه انه عرقي أو عنصري ، " فقد يصاب الدارس بالغثيان العقلي عندما يقرأ حكما لأرنست رينان يؤكد فيه على عدم تساوي الأجناس من حيث قابلية الفهم وامكانية التقدم ، وهي مقدمة ينتهي بها إلى نتائج سيئة ضد الإسلام وضد العرب ، سواء في كتابه ابن رشد والرشدية أو مستقبل العلم أو الإسلام والعلم ، فأرنست رينان يقدم تحليلا لا يستقيم والحد الأدنى من العقل

الفلسفي السليم ، فهو يقول مثلا "ان الفلسفة لدى الساميين لم تكن دوما سوى بصمة خارجية محضة دون خصوبة تذكر ، فهي كانت مجرد تقليد للفلسفة اليونانية " "إن العرب لم يزيدوا شيئا على تبني الموسوعة اليونانية كما قبلها العالم اجمع في العصر السابع والثامن" ويضيف" إننا نقبل بغموض مخيب للآمال إطلاق اسم فلسفة عربية على مجموع الأعمال التي أنجزت كرد فعل ضد العروبة في أجزاء من الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف في الجزيرة وسمرقند وبخارى وقرطبة والمغرب ، لقد كان سكان الجزيرة العرب منغلقين ككل الشعوب السامية في دائرة ضيقة من الخيال الشعري والخيال النبوي فلم يكن لديهم أقل فكرة عما يمكن أن يسمى علما أو عقلانية. أما عن القرآن ونبي الإسلام فان رينان لا يتورع عن القول بأن القرآن من أوله إلى أخره لا يعدو كونه نوعا من البرهنة السفسطائية ، كما أن محمدا لا يخلو من كثير من التأمل وما يمكن وصفه بنوع من الغش والخداع .هذه صورة نموذجية من التحليل الذاتي العنصري المغرض الذي يقدمه جامعي كارنست رينان في إنتاجه العلمي" .(قسوم،1998 ص 172) .وهذا الذي ردده رينان أعاد ترديده برنار لويس الذي في كثير من مؤلفاته يحط من قيمة الحضارة العربية الإسلامية معتبرا أنها ليست من صنع العرب الغزاة القادمين من الصحراء، ولكنها صنعت بعد الفتوحات بتعاون شعوب كثيرة مثل العرب والفرس والمصريين وغيرهم ، ولكن اعظم تأثير هو التأثير الهيللينى وبخاصة في العلوم وفي الفلسفة وفي الفنون والمعمار والى حد قليل في الأداب وكان التأثير الهيللينى من الأهمية حتى عد الإسلام الوريث الثالث بالإضافة إلى اليونان واللاتين والنصرانية للمجد الهيليني ، ولكن هلينية الإسلام كانت هيلينية الشرق الأدنى المتأخرة التي تم تعديلها بالتأثير الأرامي والنصراني فكان امتدادا دون انقطاع وليس إعادة اكتشاف كما حدث في الغرب.(مازن مطبقاني1995، ص،363). هذا نوع من الفكر الاستشراقي غير الموضوعي والذي يعاكس حقائق تاريخية يشهد على صحتها علماء الغرب أنفسهم ، ورغم أنني لست من المتحمسين لعلماء الغرب الذين يمجدون الحضارة العربية الإسلامية [لأن مشكلتنا مع حاضر التخلف وليس مع أمجاد الماضي التي لا تنفعنا ولا يمكن أن تخرجنا من أوضاع التخلف ولا يمكن أن نحل مشاكلنا الحالية بالتغني بأمجاد الماضي .

لقد صور الفكر الاستشراقي- مع بعض الاستثناءات -العالم الإسلامي على أنه يشهد الكثير من الغيابات التي تساهم في بقاء

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على ما هي عليه ، فإذا كان المجتمع الغربي يحمل بداخله بذور التقدم والتطور ومزيدا من التطور الصناعي والممارسة الديمقراطية ، فان بالمقابل تم تصوير العالم العربي الإسلامي على أنه يحمل في داخله بذور التخلف والركود أي انها ظواهر ذاتية المولد أو أصلية "Sui Generis" وهذا ما ينجر عنه سلسلة من الغيابات " غياب الطبقة الوسطى، غياب المدينة ، غياب الحقوق السياسية ، غياب الثورات وتصلح هذه السمات الغائبة في المجتمع الشرق أوسطي لتفسير فشل الحضارة الإسلامية في خلق رأسمالية أو توليد شخصيات حديثة أو تحويل ذاتها الى ثقافة جذرية علمانية (تيرنر ص99). وهذا ما يذهب إليه عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر من أن الإسلام غير قادر على توليد رأسمالية عقلانية أو طبقة تجارية كما هو في الغرب .او أن الإسلام كما يذهب إلى ذلك رينان رجعي وغير عقلاني .وهذا ما أدى بادوارد سعيد الى التصريح بان الاستشراق لم يقدم أي خير لأهل المنطقة بل نجد أن المعرفة الاستشراقية وظفت لاستغلالهم والاستلاء على أراضيهم بفضل السيطرة عليهم اقتصاديا وعسكريا وسياسيا(ادوارد سعيد، 1981) ، و قد كان من المفروض أن هذه المعرفة عبر هذه السنين الطويلة ستساهم في زيادة الحوار ومد جسور التعاون و التبادل الثقافي وتقضي على أي عداوة قد تنشأ بين العالمين ، ولكن الملاحظ أن العداوة تزداد يوما بعد يوم بين العالم الإسلامي والغرب الذي أعاد طرح الإشكالية من جديد وهذا ما جعل روجيه غارودي في كتابه حوار الحضارات - وذلك لتجاوز هذه الوضعية العدائية التي حسب رأيه منبعها الغرب وليس الشرق- إلى القول " أن بعث المستقبل الحق يشترط العثور ثانية على الأبعاد الإنسانية التي تفتحت في الحضارات أو الثقافات غير الغربية".(غارودي،1978 ص288)ولكن هذا القول الذي قيل في السبعينات من القرن الماضي لم يجد من يأخذ به نحو بناء تصورات فكرية أو أطروحات نظرية تساهم في التقريب أكثر بين العالمين وتجاوز الطرح الاستشراقي غير الموضوعي أصلا بل العنصري أحيانا كما هو واضح لدى ارنست رينان وبرنار لويس ، فما أن حلت التسعينات من هذا القرن وبعد أن اصبح واضحا أن المعسكر الشيوعي أصبح من مخلفات الماضي ليس إلا وأن الغرب بزعامة أمريكا أصبح يقود العالم وفق منطقه وحساباته السياسية ومصالحه الاقتصادية ، طفت إلى السطح من جديد علاقة الغرب وباقي الثقافات الأخرى وعلى رأسها الإسلام ، وما لبث أن

أطل علينا هنتنغتون بأطروحته حول صدام الحضارات التي يمكن تلخيصها في المقولة التالية" أن المستقبل سوف يشهد صراعات حضارية وثقافية وأن القوتين المؤهلتين لهذه المواجهة الحتمية هما الغرب والإسلام" . والحقيقة أن هنتنغتون يعيد طرح ما طرحه في نهاية الثمانينات من أن العدو الأول للمسيحية والحركة الصهيونية هو الإسلام وليس غيره ، هذه الأحكام التي تتخذ الطابع العلمي والصادرة من باحث أكاديمي، يبد والتأثير الاستشراقي فيها واضحا وخاصة برنارد لويس الذي يستشهد به هنتنغتون في أطروحته سالفة الذكر ، يقول هنتنغتون " يعتبر التفاعل بين الإسلام والغرب صدام حضارات ، ويلاحظ ج اكبر وهو مؤلف هندي مسلم أن المواجهة ستأتي حتما من العالم الإسلامي .إن الصراع سيبدأ من أجل نظام دولي جديد انطلاقا من طغيان المواجهة الكاسحة التي تمتد عبر الأمم الإسلامية من المغرب إلى باكستان ، وقد توصل برنارد لويس إلى نتيجة مماثلة -إننا نواجه مزاجا وحركة يتجاوزان كثيرا مستوى القضايا والسياسات الحكومية التي تنتهجها ولايقل هذا عن كونه صداما بين الحضارات ...، وربما غير عقلاني لكن لاشك في أنه رد فعل تاريخي لخصم قديم لتراثنا اليهودي – المسيحي وحاضرنا العلماني والتوسع العالمي لهما معا-" (هنتنغتون ص 26).

ولكن لماذا يعتقد هنتنغتون أن المستقبل سيكون صراعا وليس حوارا وتعاونا أو تفاعلا وتواصل إيجابيا بين الحضارتين وباقي الحضارات الأخرى ، ويجيب هذا الأخير بأن الفروقات بين الحضارات ليست فروقا حقيقية فحسب ، بل هي فروق أساسية ، فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والأهم الدين (نفس المرجع ص 20)، وهكذا ينتهي هنتنغتون الى المحصلة النهائية لأطروحته وهي أن المقصود من الصراع هو الدين المتمثل هنا في الدين الإسلامي ، ولكن لماذا الدين الإسلامي وليس دينا أخرا ولماذا يخشى الغرب الإسلام والمسلمين ولماذا المواجهة المحتملة ستكون مع الإسلام ؟.يبدو أن تاريخ العلاقات العربية- الأوروبية مازال حاضرا في المخيال الأوروبي والحروب الصليبية مازالت حاضرة في الأذهان وقد بينت أحداث11 سبتمبر هذا الأمر عندما أعلن بوش الابن أو دعى إلى حرب صليبية ، أما في أوروبا فقد استغل اليمين المتطرف أوضاع العداء التي تنشرها وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمقروءة ليحقق من وراءها مكاسب سياسية أوصلته إلى السلطة في كثير من الدول مثل النمسا، وإيطاليا وهو يتقوى

ويتعز حاليا في الأراضي المنخفضة والبلدان الاسكندنافية ، هـذا اليمين كان وراء التصريحات العدائية ضد العرب والمسلمين أساسا بعد أحداث 11سبتمبر في أمريكا ، وفي إيطاليا لازال الرأي العام الدولي يتذكر تصريحات بيرلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي المعادية للعرب والمسلمين والحضارة الإسلامية ككل.

ففي فرنسا مثلا تخصص كل قناة تلفزيونية مالا يقل عن ربع ساعة يوميا للحديث عن العنف والجرائم والتفجيرات التي تنسب عادة للجاليات الأجنبية خاصة العربية الإسلامية ، ذلك أن فرنسا تضم مالا يقل عن خمسة ملايين عربي ويعد الإسلام ثاني ديانة فيها'(محمد لعقاب ،2002) ، ويبدو أن وسائل الإعلام لعبت دورا مؤثرا في خلق صورة عدائية اتجاه العرب خصوصا والمسلمين عموما في الغرب ، و ها هي الدول الغربية تتحمل الآثار السلبية نتيجة لهذه المواقف العدائية غير المبررة وما فوز "جون ماري لوبان" في الانتخابات الرئاسية الأخيرة في دورها الأول في فرنسا وصعوده إلى الدور الثاني إلا دليل ومؤشر خطير عن الروح العدائية المتنامية في الغرب اتجاه الأجانب وخاصة العرب ، والمسلمين الذين يشكلون الأغلبية في هذه الدول الغربية ، وإذا لم تتدارك أوروبا هذا الوضع فان المستقبل سيشهد مزيدا من التطرف ومزيدا من الصدام وربما تتحقق نبوءة صاموئيل هنتنغتون .

وهذا الذي طرحه هنتنغتون والذي فتح به الحوار بين الإسلام والغرب أو بين الصدام المحتمل بل الوشيك بينهما ، أعاد طرحه من جديد بريان بيدهام في مقال خاص نشرته الصحيفة الأمريكية (الايكونوميست)،وإذا كان هنتنغتون يتصور أن المستقبل سيشهد صراعا بين سبع أو ثمان حضارات فان بيدهام مع إقراره بهذا الصراع قلص هذا العدد إلى ثلاث حضارات فقط وهي حضارة الغرب أو الثقافة الأوروبية-الأمريكية ، وثانيا الحضارة الصفراء أو الثقافة الكونفوشيوسية ، أما الحضارة الثالثة فهي الثقافة الإسلامية ،ولكن بيدهام يرى أن الثقافة الإسلامية هي المنافس الفكري الوحيد للغرب، ويرجع ذلك إلى الإسلام المبني على يقين جازم بأنه فوق الأسس التي يضعها البشر (جودت السعيد وعبد الواحد علواني ،1996،ص 53-55)

هذا على مستوى المفكرين الغربيين الذين انساق اغلبهم وراء أطروحة هنتنغتون وصوروا أن المستقبل وبعد زوال الشيوعية وانهيار مجموعة الدول الاشتراكية ، سيكون الصراع فيه بين الغرب والإسلام لأن هذا

الأخير حسب هنتنغتون هو الوحيد القادر على رفض القيم الغربية.وان الدول الإسلامية ستسعى جاهدة لتطوير قوة اقتصادية وعسكرية والتعاون مع مجموعات أخرى غير غربية ضد الغرب مع الحفاظ على القيم والمؤسسات المحلية الأصلية ،أي باختصار محاولة التحديث من دون الغرب(فتحي ابو العينين 1995،ص334) .

إن المواجهة بين الغرب و العالم الإسلامي التي يعتبرها هنتنغتون وبعده بيدهام حتمية لا مفر منها ، لم تلق القبول ولا الإجماع بين المفكرين الغربيين زيادة على المفكرين العرب والمسلمين ، وفي هذا الإطار وفي كتابه " الإسلام وخرافة المواجهة يفند الباحث الارلندي " فريد هاليداي" هذا الزعم بقوله "قليلة –إن وجدت– هي قضايا العلاقات الدولية التي ولدت من الخرافات قدر ما ولدت قضية الخطر الإسلامي المزعوم (هاليداي ،1997،ص128) .وحسب هاليداي فان العداء للإسلام اكتسب حدة في السنوات الأخيرة واصبح مفهوم الخطر الإسلامي رائجا في الغرب خاصة في فرنسا التي تحوي جالية إسلامية كبيرة وانتقل ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية فان هذا الخطاب يمثل عامل هام في الخطاب السياسي وفي تفنيده لذلك يرى هاليداي أن مفهوم الخطر الإسلامي على الغرب مجرد خرافة ن وربط الإسلام بالإرهاب كما يروج الكثير من الغربيين ووسائل الإعلام الغربية ليس صحيحا فليس عناك علاقة ضرورية أو تاريخية بين السياسة الإرهابية والهويات الإسلامية ، فحين ظهر الإرهاب بمعناه المعاصر –في القرن التاسع عشر– لم يكن المسلمون هم الذين شقوا الطريق ، وفي الأونة الأخيرة كان هناك الكثير من الإرهاب ولا إسلام (نفس المرجع ص134)

أما على مستوى المفكرين العرب فليس هناك إجماع حول هذه القضية أي حول مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب فالبعض يدعو إلى الحوار والتفاهم لأن هذا هو الطريق الأنجع للطرفين كما يفعل ذلك محمد أركون ومنهم من يدعو إلي المواجهة والتحدي كما يذهب إلى ذلك محمد عابد الجابري.

أركون: دعوة إلى الحوار والتفاهم المتبادل

في كتابه " الإسلام،أوروبا،الغرب – رهانات المعنى وإرادات الهيمنة وفي مقدمته الخاصة بالطبعة العربية يبدأ بمقدمة تبين حرصه وجديته في تناول هذا الموضوع الشائك ويدعو من خلال ذلك إلى التحلي بالمنهج

العلمي الذي تتيحه لنا العلوم الاجتماعية والابتعاد عن العاطفة والخطابات الأيديولوجية التي تحول في كثير من الأحيان عن الفهم السليم والمتبادل بين المفكرين الغربيين ونظرائهم من العالم الإسلامي " هذه المصطلحات الثلاثة : إسلام، أوروبا، غرب ، تعرضت لأدلجة مهووسة ومبالغ فيها . ولهذا السبب فينبغي أن نعيد التفكير فيها لكي نحل الصورة التاريخية (أو الواقعية) محل الصورة الأيديولوجية ، وينبغي أن نوضح الأمور من جديد وأن ننظر إليها بشكل نقدي ، أي أن نعريها من ألبستها الأيديولوجية السميكة .....،وذلك لكي نقدم صورة أخرى غير الصورة السائدة عن الإسلام والغرب ، أو عن تصور كل من المسلمين والغربيين لبعضهم بعضا. فالصورة المتبادلة بينهما أي التي يمتلكها كل طرف عن الطرف الآخر غير صحيحة على الإطلاق . يضاف إلى ذلك أن الأمور غائمة ومشوشة إلى حد بعيد، ولا يمكن أن نظل إلى ما لا نهاية تحت رحمة التصور الأيديولوجي ."(أركون 1995،ص 5)

ومع إقرار أركون بأن كثير من مفكري الغرب وتحت وطأة التأثير الأيديولوجي يزعمون أن الإسلام أصبح قطبا جغرافيا – سياسيا مهددا للغرب وحضارته وقد ساعد في ذلك وسائل الإعلام التي ضخمت الأمور لتشويهه واستخدامه كفزاعة مرعبة بعد سقوط الشيوعية وهذا ما يؤدي به إلى طرح بعض التساؤلات التي تحمل في طياتها دعوة إلى التفاهم والفهم الصحيح المتبادل بعيدا عن ارادات الهيمنة التي تلبست الغرب " كيف يمكنا أن نقلب السلب الى إيجاب ، والخصام إلى وئام ، والحرب إلى تعاون وسلام بين الإسلام وأوروبا والغرب ؟ كيف يمكن أن نتوصل إلى علاقات جديدة بين هذه الأقطاب الثلاثة، أو بين هذه المناطق الجغرافيا – الاستراتيجية الثلاث؟ كيف يمكن أن نتوصل إلى علاقات بناءة لا مدمرة ، علاقات واعدة بالمستقبل وقادرة على تحرير الوضع البشري أينما كان ، في هذه الجهة أو تلك ؟ نقول ذلك ونحن نعلم أن هذه الأقطاب الثلاثة تتصارع الآن ، كما في العصور الوسطى من اجل الهيمنة ولكنها تقنع هذا الصراع أو تغطي عليه بواسطة التظاهر بالبحث عن رهانات المعنى المتعالية"(نفس المرجع .ص 30) ويبدو حسب أركون أن المثقفين من كلا الجانبين هم وحدهم القادرون على تحقيق هذا الوئام وهذا الفهم المتبادل والبعيد عن ارادات الهيمنة.

وعند تناوله لمفهوم الغرب وأصل الصراع بين الشرق والغرب بيين أركون أن هناك فرقا بين أوروبا والغرب فالغرب يشمل اكثر من أوروبا

ليتوسع فيشمل مجموعة السبع أي أوروبا زائد الولايات المتحدة الأمريكية و كندا واليابان والمؤرخون هم الذين حرفوا مفهوم الغرب عن معناه الجغرافي إلى معنى جديد ، ثقافي وأيديولوجي أما بخصوص اصل الصراع بين الشرق والغرب فيرجع إلى البدايات التي انشقت فيها المسيحية بعد مناقشات حامية دارت حول تحديد ما هو المذهب المسيحي الصحيح والمستقيم أي حول الأرثوذكسية (من هنا جاء مصطلح الأرثوذكسية الذي يعني حرفيا الخط المستقيم) وهذا الصراع على الأرثوذكسية بين المسيحيين أدى إلى حصول انشقاق كبير في تاريخ هذا الدين عام 1054ويدعى هذا الانشقاق بالفتنة الكبرى ، وانقسمت الكنيسة المسيحية الموحدة عندئذ إلى قسمين: الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق والكنيسة الكاثوليكية في الغرب ، ومع الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام وظهور الإمبراطورية العثمانية ازدادت الهوة بين الشرق والغرب واصبح ينظر إلى الشرق نظرة ازدراء فالشرق المهرطق ، والظلامي، والحالم ، والكسول ، والتواكل ، واللامبالي ...الخ (ولم تكن تهمة الهرطقة تعني فقط الإسلام ، وانما كانت موجهة أيضا ضد المسيحية الشرقية أي الأرثوذكسية) . واستمرت الأمور على هذا النحو حتى وصلنا الى عصر التنوير ، ثم جاءت الحركة الرومنطقية في القرن التاسع عشر لكي تضيف مسحة مثيرة أو جذابة عن الشرق . أصبح الشرق موطن الأحلام والضوء والجمال الغرائبي والدعوة للسفر والرؤى الشاعرية .أي أنه اصبح كل ما ليس في الغرب العلمي الصناعي .

ثم توسع المفهوم الجغرافي –السياسي للغرب فيما بعد كثيرا عندما انضمت إليه الولايات المتحدة الأمريكية.(نفس المرجع ص31–32) فقد أدى ظهور الشيوعية في أوروبا إلى انضمام الولايات المتحدة إلى هذا الصراع الذي تحول من صراع ديني في السابق إلى صراع أيديولوجي . ولكن مع نهاية الشيوعية وهزيمتها من طرف الغرب يبدو أن الانقسام المذهبي والديني بين الأرثوذكسية والكاثوليكية أو بين الشرق والغرب قد عاد من جديد وبدايته كانت من الأرض اليوغسلافية وفي هذا الموضوع بالذات يتساءل أركون " هل كان الغرب سيقف الموقف ذاته ويتصرف بالطريقة ذاتها لو أن مسلمي البوسنة هم الذين هاجموا بلغراد ودمروها مثلما يهاجم الصرب سراييفو ويدمرونها (نفس المرجع ص 32).إذن ووفق ما يذهب إليه أركون فان هذا الصراع بين الشرق والغرب مازال مستمرا منذ القرون الوسطى رغم أن المعطيات تغيرت ورغم أن الغرب ذاته تغير من مفهوم

جغرافي إلى مفهوم أيديولوجي ورغم أن رهانات المعنى تحولت إلى استراتيجيات للقوة والسيطرة التي أصبحت تعطى لها الأولوية المطلقة ورغم أن البشرية الأوروبية انتقلت من المرحلة اللاهوتية-السياسية إلى المرحلة العلمانية -السياسية.

ومع إدراك أركون لهذا النقد العنيف للغرب وهو يعيش في أرضه وما سوف يجلبه له من متاعب وخاصة من طرف بعض المتعصبين الذين يحملون في أذهانهم صورة خاصة عن الإسلام والمسلمين والعرب على وجه الخصوص وهذه المواقف هي التي تساهم في زيادة حدة الصراع بدل التقارب والحوار العلمي الموضوعي ،وهذا ما تعرض له اركون ذاته ومن قبله ادوارد سعيد فالأول في نقده لسلمان رشدي والثاني في نقده للإستشراق بحيث لم يتقبل بعض علماء الغرب هذه المواقف من باحثين عرب رغم القيمة العلمية والسمعة العالمية التي يتمتعان بها يقول أركون في هذا الصدد " على الرغم من أنني أحد الباحثين المسلمين المعتنقين للمنهج العلمي والنقد الراديكالي للظاهرة الدينية إلا انهم يستمرون في النظر الي وكأني مسلم تقليدي ،فالمسلم في نظرهم-أي مسلم -شخص مرفوض ومرمي في دائرة عقائده الغربية ودينه الخاص وجهاده المقدس وقمعه للمرأة وجهله بحقوق الإنسان ولا يمكنه أن يكون الا هذا ....،والمثقف الموصوف بالمسلم يشار اليه دائما بضمير الغائب:فهو الأجنبي المزعج الذي لا يمكن تمثله أو هضمه في المجتمعات الأوروبية لأنه يستعصي على كل تحديث أو حداثة .فكيف له إذن أن يلعب الغرور في رأسه ويتنطح ليس فقط لدراسة العقل الغربي وإنما لنقده أيضا"(نفس المرجع ص45).

على ما يبدو ليست سهلة ولا يسيرة ومع هذا يمكنا القول إنها ضرورية فيجب وانطلاقا من المنهج العلمي الذي تعلمناه من الغرب ذاته أن نغوص في صلب التراث الغربي وفضح مرتكزا ته العنصرية اتجاه الإسلام والمسلمين والعرب خصوصا ، هذا من جهة ، ومن جهة يجب خرق وسائل الإعلام الغربية وكل المنابر العلمية والبحثية لشرح وتبيان الصورة الحقيقية عن الإسلام وليس الصورة النمطية التي صورها كثير من المستشرقين عن الإسلام من أمثال لويس ورينان، .وهذا بالفعل ما يقوم به أركون مذ سنوات عديدة فهو ليس فقط ملم بالتراث الاسلامي بل وحتى الغربي يقول في هذا الصدد" يعلم الله أنى أخوض صراعات لا تحصى على جبهة الجامعات الأوروبية ، وكذلك على جبهة الملتقيات

والندوات في برلين أو بروكسل أو اكسفورد أو السوربون أو أمستردام أو برنستون أو هارفارد ...الخ ،وكل ذلك من أجل شرح حقائق الإسلام بشكل تاريخي وموضوعي دقيق ولكن العملية صعبة جدا .هذا اقل ما يقال .(نفس المرجع ص45)

إن نقد اركون للغرب وفضحه لارادة القوة التي يستعملها الغرب ضد بقية الشعوب الأخرى وعلى رأسها الإسلام لا يجعلها ينكر إيجابيات الحضارة الغربية ولا التقدم والتطور الذي بلغته وهو إن كان يرفض الخطاب العدائي الغربي ضد الإسلام والمسلمين فهو في الجهة المقابلة يرفض أيضا خطابات الأصوليين الإسلاميين عن الغرب وحضارته ، فالحضارة الغربية ليست كلها مساوئ وبالتالي فان انتقادات اركون للغرب هي انتقادات جزئية ولا تضحي بالإنجازات التي حققها الغرب في مجال العلوم والمعرفة والتي عادت بالفائدة على البشرية ككل وهو في نقده للعالمين الغربي والإسلامي يتخذ موقفا متوازنا غير منحاز لهذا الطرف أو ذاك .

يعتقد اركون أن أوروبا ومن خلال تشكل الاتحاد الأوروبي الذي تجاوز به العصبيات القومية الضيقة هي القادرة على إيقاف الانحراف الأيديولوجي للغرب المهيمن فإذا استطاعت أوروبا أن تفتح صفحة جديدة وفضاء جديد للفكر والعمل التاريخي تراجع من خلالها وبكل جرأة ونقد موضوعي تاريخها وخاصة تاريخها الاستعماري واستخلاص النتائج والعبر وأن تعيد الصلة مع تراثها الإنساني التنويري "وربما كان نقد الحداثة أو التجربة الماضية للحداثة السائد حاليا يمشي في هذا الاتجاه ، وربما كان عقل ما بعد الحداثة يتسع لما نتمناه ونرجوه."(نفس المرجع ص35)

ويعتقد اركون أن أوروبا بإمكانها مساعدة الدول العربية والإسلامية نتيجة للقرب الجغرافي والعلاقات التاريخية والثقافية التي تربط العالمين ،فبما إن أوروبا سبقت العالم العربي –الإسلامي إلى الحداثة والديمقراطية والحريات فإنها من دون شك تستطيع أن تمد يد المساعدة لأبناء الضفة الأخرى من الفضاء المتوسطي .وإذا كانت المهمة حاليا صعبة التحقيق نتيجة للفجوة الواسعة التي تفصل العالمين هذا بالإضافة إلى انشغال أوروبا الغربية حاليا بدمج أوروبا الشرقية وإدخالها في نطاقها الحضاري وهذا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وما نجم عنه من تفكك أوروبا الشرقية . ولكن في الأخير ستضطر أوروبا إلى فهم العالم الأخر من الضفة الأخرى

من المتوسط ، فحوالي العشرة ملايين شخص مسلم يعيشون الآن في أوروبا وهذا عاجلا أو اجلا سيدفع أوروبا إلى فتح صفحة جديدة في علاقاتها مع العالم العربي-الإسلامي "وسوف تقبل أخيرا باعادة كتابة تاريخها وتأويل دينها على ضوء المنهجيات الحديثة لعلم الابستمولوجيا المعاصرة وللعقل النقدي "(نفس المرجع ص36).

وفي أخر تحليله لهذا الموضوع الشائك يلقي أركون نوع من المسؤولية على مثقفي العالمين فوضع المثقف العربي عموما لا يبعث على التفاؤل بحيث طغى السياسي على المثقف واصبح المثقف تابعا للسلطة وتراجع الفكر أمام هيبة السلطة وإغراءاتها مع أن الظرف الحالي يتطلب عكس ذلك فالمثقف في هذه المناطق مطالب مباشرة بتشكيل رؤيا سياسية وثقافية تكون قادرة على التجاوب مع ما تنتظره منه تيارات فكرية مهمة في الاتحاد الأوروبي أما في ما يخص المثقفين الأوروبيين،فهو يدعوهم إلى الحذر ذلك لأن الأمانة العلمية تتطلب منهم موقفا نقديا وتصحيح التصورات الخاطئة وإيقاف الانحرافات الأيديولوجية ، ففي أوروبا مثقفون مستنيرون وتقدميون يرغبون في الحوار مع مثقفي العالم العربي الإسلامي ولكن للأسف الشديد فان مثقفينا لا يتجاوبون مع هذه الرغبة فكثير من المثقفين العرب فقدوا وظيفتهم الحقيقية النقدية وانحازوا كلية لصف السلطة .وقد حان الوقت لكي يستعيد المثقف العربي دوره النقدي ورؤيته الحقيقية عن الواقع الاجتماعي والوعي بالرهانات الكبرى التي تعترض العالم العربي الإسلامي " أتمنى من كل قلبي أن ينخرطوا أخيرا في إعادة قراءة جذرية لكل موروثهم الثقافي الديني وأن يعيدوا النظر في فهم المصير التاريخي ، الماضي ، والمستقبل للشعوب المتوسطية . أتمنى أن يتجاوزوا كل أنواع الخطاء والدوغمائيات الايديولوجية المتحجرة و"القيم" المفترضة بأنها أبدية أو خالدة ، أتمنى أن يتجاوزوا كل الصدمات التدميرية التي لا طائل تحتها ، وكل أنواع النبذ واللعنات التي خنقت وأجلت حتى اليوم تحقق ذلك الأمل الكبير الذي تنطوي عليه جوانح ملايين البشر ذلك الأمل العظيم الذي لا تستطيع أية قوة أن تقضي عليه"(نفس المرجع ص39).

هذا ملخص لأفكار المفكر الكبير محمد اركون حول هذا الموضوع الإسلام والغرب والتي من خلالها يدعو العالمين إلى التقرب أكثر واعادة طرح الحوار لا الصدام رغم صعوبة المهمة وخاصة في الوضع الراهن بعد أحداث 11سبتمبر والتي أعادت فتح الموضوع من جديد ويتطلب الأمر كثير من الجهد والعمل حتى يمكن محو أثار ذلك ، والحقيقة أن المهمة

الأساسية تقع على العالم العربي الإسلامي لترتيب بيته أولا، وأعادت صورة الإسلام الحقيقية الداعية إلى الحوار والتسامح لا العنف والإرهاب والأصولية الدينية ، والانطلاق في حوار جدي مع الغرب لتقريب وجهات النظر والدعوة إلى الاحترام المتبادل ثقافيا واجتماعيا ، وهذه المهمة ملقاة على عاتق مثقفينا الذين يجب أن لا يتخلفوا عن المنابر العلمية لشرح الصورة الحقيقية وليس المشوهة عن الاسلام والعالم العربي .

الجابري :دعوة إلى التحدي والمواجهة

على العكس من محمد أركون الذي يبدو أن مجاله البحثي اشمل من الجابري بحيث لا يتناول العالم العربي فقط كما هو عند الجابري بل يتعدى ذلك الى العالم الإسلامي ككل ويتعداه إلى دراسة بقيت الديانات الأخرى كالمسيحية.يبدو الجابري اكثر تشددا في تناوله لعلاقة الإسلام بالغرب فهو يدعو صراحة إلى التحدي والمواجهة والى إعلان ذلك ففي كتابه " مسألة الهوية – العروبة والإسلام والغرب يتناول في جزأه الثاني هذه العلاقة التي على مر التاريخ كانت متأزمة والسبب في ذلك يعود ألي الغرب (الجابري هنا لا يفرق بين الغرب وأوروبا كما يفعل أركون) الذي كان دائما محتاج إلى آخر حتى يثبت به نفسه بدءا من الحضارة اليونانية إلى التاريخ المعاصر والحديث ،فالإسلام في ذلك مثل الاخر للانا المسيحية وهو أولا وأخيرا خصما وعدوا . هذا ما كان في الماضي وما سوف يكون في المستقبل وهذا ما يدعوه الجابري ب" المستقبل الماضي " وإذا كان هذا حال الغرب فان على العالم العربي أن يدخل هذا الماضي والحاضر في مجال تفكيره بالمستقبل يقول الجابري "نقطة البداية في تفكير العرب في مستقبلهم الاتي يجب أن تكون ليس فقط استحضار مستقبلهم الماضي ، فهذا ما يفرض نفسه ، بل أيضا استحضار ما يشكل المستقبل الماضي لكل من إسرائيل والصهيونية والغرب الإمبريالي(الجابري1995، 94)وبالنسبة للجابري فإن عداوة الغرب للإسلام المتمثل هنا في العرب وإيران لا يتم في السر بل يتم الجهر فهم –أي الغربيين-يرددون جهارا بان الخطر الذي سيواجه العالم –عالمهم- في المستقبل ،بعد زوال الخطر الشيوعي ، هو الإسلام بعد أن كان في السابق القومية العربية لهذا يجب على العربي أن يعي هذه الحقيقة جيدا وأن لا يخجل من تسمية الأمور بمسمياتها ويعلن صراحة أن الغرب متعصب ويعتبر الإسلام عدوا حقيقيا لا وهميا رغم انه هو الذي يتهمنا بالعصبية والتطرف .فالغرب بالنسبة

للجابري لم يتخلص بعد من خلفياته الدينية والثقافية التي وجهت المستشرقين وفلاسفة التاريخ من أمثال هيجل ومونتسكيو وحتى ماركس وأن الادعاء بان الغرب العلماني قد تحرر من ذلك فهذا مجرد وهم إذ يكفي أن نطلع على وسائل الإعلام الغربية لكي نتأكد من أن تلك الخلفيات مازالت مؤثرة وحاضرة في الخطاب الاعلامي الغربي حول الإسلام .

إن العرب بالنسبة للجابري وكما يراهم الغرب هم مجرد بترول ومصالح اقتصادية وموقع استراتيجي أو جيو –سياسي ولذلك يتم دوما ربط العرب بايران عندما يتكلم الغرب عن الإسلام " على أن العرب ليسوا بالنسبة إلى الغرب ذلك الممر الاستراتيجي و حسب، بل هم أيضا أولئك الذين تحتوي أرضهم على اكبر مخزون من البترول في العالم .....،ولذلك فالغرب مستعد للقيام بأي عمل مهما كان شرسا وتدميريا لمنع قيام وضع في منطقة الشرق الأوسط يهدد تزويده المنتظم بالبترول (الجابري ،ص145) .

ولكن ما العمل أمام هذه الوضعية وهل أن ذلك هو قدرنا المحتوم قدر المواجهة مع الغرب ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وكيف يجب التعامل مع هذا الخصم من اجل مستقبل عربي يساهم العرب أنفسهم في صنعه بحيث يكونوا هم الفاعلين المؤثرين لا موضوعا يتأثر بغيره . بالنسبة إلى الجابري وفي ظل النظام العالمي الجديد الذي اصبح العالم من خلاله قرية صغيرة لم يعد ممكنا النضال من خارجه بل من داخل النظام نفسه مشبها بذلك هذا النضال بنضال العمال ضد استغلال رب العمل لهم ، هذا النضال قد أفرزته طبيعة النظام الرأسمالي نفسه ولذلك فهو يقبله ويتكيف معه، ويعتقد الجابري أن هذا النضال ضد هيمنة النظام الرأسمالي الإمبريالي الجديد يجب أن يسلك في الظرف الراهن هذا المسلك وإلا فلن يكون هناك بديل غير الانتحار أو الاستسلام .إن العالم الثالث هو الآن شاء أم كره ، في موقع البروليتاريا بالنسبة إلى هذا النظام . إن قوة الجنوب ستكون في تضامنهم ضمن مجموعات اتحادية إقليمية .أما بالنسبة إلى العالم العربي فهو يملك سلاحين فعالين هما المواد الأولية والسوق الاستهلاكية (إضافة إلى الجوانب الأخرى الاستراتيجية والثقافية) فإذا عرف كيف يستعملها لتحقيق نوع من توازن المصالح مع الغرب استطاع أن يشق لنفسه آفاقا جديدة نحو مستقبل يكون له فيه موقع قدم صلبة في عالم لم يعد فيه مكان للضعفاء المشتتين المتنابذين(الجابري ،156–161) .

وعندما ينتقل الجابري إلى دور وسائل الإعلام في هذه المسألة فانه يقر بان وسائل الإعلام الغربية مسؤولة إلى حد كبير عن الصورة الحالية التي كونها الغرب عن الإسلام والعرب فالصورة التي تصنعها وسائل الإعلام الغربية اقل ما يقال عنها إنها صورة غير موضوعية بل عنصرية أحيانا " فالإسلام فيها لا يدل على دين أو حضارة بقدر ما يشير إلى نوع خاص من المسلمين هم تارة العرب وتارة المهاجرون وحينا الأصوليون وحينا آخر ما يتخيله صانعو يمكن أن يكون :شيئا مخيفا (الجابري ،ص169).وهكذا تكونت في مخيال الغربي صورة نمطية عن المسلم الذي هو في اغلب الحيان العربي هذه الصورة غير تلك الصورة أن الإسلام الموضوعية هي المسؤولة عن هذه الوضعية العدائية من طرف الغرب الذي نجح في رسم صورة الإسلام المخيفة للغرب ، فوسائل الإعلام هذه أنتجت واعادة إنتاج هذه الصورة "صورة العرب والإسلام في وسائل الإعلام الغربية صورة غير موضوعية يتحكم فيها عنصران ذاتيان : الرغبة في نفط العرب و(إيران) والخوف من المهاجرين العرب والمسلمين الذين لا تستطيع أوروبا امتصاصهم ولا الاستغناء عنهم(نفس المرجع ،ص 167).بالإضافة إلى هذين الموضوعين هنا الموضوع الثالث والمتعلق بالإرهاب ، الذي تصوره هذه الوسائل على أن منبعه الدول الإسلامية وكان الإسلام هو مولد هذا الإرهاب مع أن الدول العربية والإسلامية نفسها تعاني من هذا الإرهاب "والغريب كمل يقول الجابري والمثير للدهشة حقا هو إصرار الإعلام الغربي على ربط الإرهاب بالإسلام في الأقطار العربية خاصة ، متجاهلا عوامله الموضوعية كالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والجولان وجنوب لبنان في حين انه عندما يتعلق الأمر بالإرهاب في بلدان أخرى غير عربية وغير إسلامية يصرف النظر تماما عن ربطه بالدين ليركز على عوامل أخرى موضوعية في الغالب(نفس المرجع ،ص175).وهكذا وفق أطروحة الجابري يتم الربط بين الإسلام والإرهاب وكأن لا يوجد شيء ايجابي في الإسلام، فالإسلام وفق هذه الرؤية الغربية يقدم على أنه عدو يجب محاربته لأنه مصدر الهجرة والإرهاب وكل ما هو سلبي .

أن أطروحة الجابري بالرغم مما فيها من صحة وصدق وخاصة الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام الغربية بشتى أنواعها في رسم الصورة السابقة الذكر، إلا أننا نعتقد أن الدعوة إلى المواجهة مع الغرب ليست مفيدة ولا هي الحل الذي يمكن تصوره ،فداخل الغرب ذاته هناك دعوات

للحوار والتفاهم يجب استثمارها وتثمينها، وداخل العالم الإسلامي هناك أمراض عديدة يجب التخلص منها وعلى رأسها الإرهاب والأصولية الدينية التي شوهت الإسلام والمسلمين يقول ماكسيم رودنسون أحد المستشرقين "الموضوعيين" إلى حد ما عن هذه الظاهرة "والصورة التي صعقت الغربيين الذين يعيشون خارج العالم الإسلامي بدون شك كانت تلك التي تتمثل بنمط الهوس التعصبي الذي يدعى بحسب الحالات والبلدان والاتجاهات : بالأصولية (الإسلامية)، أو بالتزمت (الإسلامي) أو بالحركية الإسلامية .إنها صورة مهددة بالخطر ومخيفة ن صورة مرتبطة بطبقة الاكليروس الدينية المقززة التي يشعر نحوها الغرب كله بالرعب لأنه عانى طيلة قرون عديدة من الاتجاه المسيحي الذي يماثلها.ومن هنا ينتج ذلك الميل عند الغربيين إلى اختزال الإسلام وكل ما هو إسلامي إلى فزاعة مخيفة(مكسيم رودنسون ، 2000،ص 115).

ليس الغرب وحده المسؤول عن هذا الاتجاه نحو التصادم بدل الحوار ورغم الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق غير الموضوعي ووسائل الإعلام التي استطاعت أن ترسم مخيالا خاصا عن العرب والمسلمين لدى الغرب ، فإننا إلى جانب كل هذا مسؤولون مسؤولية كبيرة عن هذا الإخفاق في تصدير الصورة الحقيقية عن الإسلام والمسلمين غير الصورة الحالية ن لهذا السبب لا يجب المغالاة في هذا الجانب كثيرا بل يجب تجاوز ذلك إلى فضاء من العمل في اتجاه الحوار والالتقاء حول النقاط المشتركة وتوسيعها بدل اتخاذ مواقف عدائية لتوسيع الهوة بين العالمين وفي اتجاه يؤدي إلى التصعيد والتوتر بدل التفاهم المشترك.وعلى الجامعات والمؤسسات الثقافية ومراكز البحوث دور جوهري في تحقيق أهداف هذا الحوار، وتطويره وتوسيع مداه في مجالات الدراسات والبحوث المشتركة والمناهج التعليمية وتقويم التاريخ الفكري للمنطقتين (محي الدين صابر ،1985،ص53).

إن بناء المستقبل يتطلب من العالم الإسلامي والعالم الغربي فهم كل منهما للآخر فهما بعيد عن التعصب والنظرة الدونية التي رسمها المستشرقون ووصمة الأصولية والإرهاب التي ألصقتها وسائل الإعلام الغربية بالعالم الإسلامي ، " إن الصورة العربية ينبغي أن تكون معروفة وعلى حقيقتها الموضوعية بنظرة بريئة من التعصب والأحكام المسبقة التي رسمتها الأطماع السياسية.كذلك فان الصورة الأوروبية ينبغي أن تكون معروفة وعلى حقيقتها الموضوعية للعرب ،فالصورة السلبية التي

رسمتها الممارسات الاستعمارية وصور الاستغلال والاستعلاء، وغير ذلك مما رسخ في النفوس ، ينبغي أن يعدل في الظروف الجديدة ،وينبغي ألا يبقى من التاريخ الذي لا يتكرر إلا العظة، وذلك حين يرسم طريقٌ جديد لسياسة تعاون مستقبلي "(نفس المرجع ،ص 55).

إن الدعوة إلى الحوار والتفاهم وبنا جسور التعاون والالتقاء حول القيم الإنسانية التي تزخر بها ثقافة العالمين العربي- الإسلامي والغربي والتي هي أساس بناء تصورات واستراتيجيات مستقبلية ،إن هذا لا يجب أن يثنينا عن المهمة الأساسية لنا كشعوب عربية متخلفة بل يجب أن يكون هذا دافعا لنا لتحقيق المهمات الأخرى المتمثلة أساسا في قضايا التنمية والتطور وإيجاد مكاننا الطبيعي الذي يتناسب مع إمكانياتنا المادية والثقافية وطموحاتنا، وإذا كانت أشكال الصراعات المقبلة ليست هي الصراعات الدينية والثقافية والحضارية بقدر ما هي صراعات علمية معرفية وإعلامية يمكن إدراك الرهانات الحقيقية التي تنتظر العالم العربي الذي أوضاعه الحالية لا تبعث على التفاءل ، لهذا يجدر بالمثقفين العرب الانتباه أكثر إلى هذه الرهانات والتحديات حتى يمكن رسم استراتيجية عربية موحدة في القرن 21 ولا يمكن الالتفات إلى مثل هذه المواضيع وإعطاءها اكثر مما تستحق ، فقضايانا الحقيقية هي قضايا التطور والتنمية وليس عداوة الغرب لنا التي من بين أسبابها هذا التخلف والتشرذم العربيين فلا توجد دولة عربية تقريبا ليس لديها مشاكل حدودية مع دولة عربية جارة لها ، ناهيك عن المشاكل السياسية ، فكيف في مثل هذه الظروف نتكلم عن عداوة الغرب لنا –رغم أنها حقيقة وليست وهما – ، فإذا نجحنا في هذا الجانب فان موضوع عداوة الغرب لنا لن تصبح له أهمية ذلك أن مشاكلنا الحقيقية وبناءنا الاجتماعي المتخلف والذي يعيد إنتاج التخلف في مجتمعاتنا العربية هو ما يجب أن نفكر فيه ونوليه الأهمية القصوى ، عندها سيبدو موضوع علاقتنا بالغرب غير ذي أهمية لأننا نكون قد نجحنا في رسم وفرض صورة أخرى عنا في مرآة الغرب .

فأشكال الصراعات المقبلة لن تكون دينية أو حضارية بقدر ما تكون صراعات علمية ومعرفية أساسها المعلوماتية(توفلر ،1998) ووسائل الإعلام التي هي أهم وسائل النظام العالمي الجديد والذي نسميه العولمة ، وإذا كانت صورة العالم العربي شوهت بفضل وسائل الإعلام الغربية فلماذا لا نفكر في الاستثمار في هذا الجانب الحيوي حتى يمكن أن ننقل بأنفسنا الصورة الحقيقية عن الإسلام والعرب ،لا أن ينقلها غيرنا ، لهذه

فان مهمة العالم الإسلامي ليست يسيرة في عالم القرن الواحد والعشرين لا مكان فيه للضعيف . والحقيقة أن العالم العربي الإسلامي غني بموارده المالية والطبيعية وطاقاته البشرية والعلمية ، ولكن كل هذا يجب أن يثمن وفق رؤية إستراتيجية تسمح للعالم العربي احتلال مواقع متقدمة في حضارة القرن الواحد والعشرين .

لقد انطلق البحث من تساؤل رئيس مفاده من المسؤول عن الصورة الحالية التي تعتبر أن الاسلام مصدر الارهاب والتخلف والدونية والأصولية؟ وبعد هذا التحليل الذي تعرضنا فيه الى مختلف الأراء التي تعرضت لهذا الموضوع سواء مفكرين غربيين أو عرب يمكننا أن نستنتج ما يلي:

- أن وسائل الإعلام الغربية المتشبعة بالفكر الاستشراقي غير الموضوعي لعبت دورا كبيرا في الترويج لذلك وقد ساعدها في ذلك بعض المفكرين الغربيين الأكاديميين .
- أن تخلف العالم العربي –الإسلامي والصراعات الايديولوجية والسياسية وظهور ما يسمى الأصولية الدينية والإرهاب قد عمق هذه الهوة وتحول من خلالها الخوف من الإسلام إلى مرض نفسي وهم ما يمكن أن نطلق عليه الخواف من الإسلام ن بل أن هذا الخواف لم يعد من الاسلام فقط بل من العربي وأصبح كلما يتكلم عن الاسلام يقرن بالعربي .
- أن الخوف من الإسلام خوف لا مبرر له وان المواجهة المحتملة بين الإسلام والغرب ليست سوى دعوى تحركها المصالح الاقتصادية والسياسية والايديولوجية أو ارادات القوة كما سماها محمد أركون .
- على العالم العربي –الإسلامي أن يعي حقا الرهانات الحقيقية ، فوضعية العالم العربي –الإسلامي حاليا والمتسمة بالتخلف والتجزئة هي ما يجب أن يفكر فيه وإعطاءه الأهمية المطلقة على باقي القضايا الأخرى .
- أن الصراع الحقيقي في المستقبل القريب من هذا القرن سيكون صراعا معرفيا علميا ومعلوماتيا وليس صراعا ثقافيا أو دينيا ، لهذا يجب أن تستغل كل الإمكانيات العربية المادية والبشرية وتسخيرها في مجال البحث العلمي والتكنولوجي من جهة ،

واستغلال وسائل الإعلام المحلية والعالمية في نقل الصورة الحقيقية عن الإسلام والعالم العربي من جهة أخرى .

يجب التاسيس لحوار الأديان وذلك عبر ايجاد مجموعة من المثقفين أو نواة ثقافية من العرب والمسلمين تتخصص في هذا المجال لنقل الصورة الحقيقية عن الاسلام وليس الصورة المشوهة التي تنقلها وسائل الاعلام الغربية .

إقرار مادة سوسيولوجيا الأديان المقارنة على طلاب الجامعات العربية في شتى التخصصات حتى يمكن فهم افضل لحقيقة الأديان و لكيفية الحوار والتسامح بين الأديان وقبول الآخر والتواصل الحضاري وذلك عن طريق التمكن من المناهج العلمية التي تساعد في هذه المهمة .

هوامش البحث

1. هشام جعيط. أوروبا والاسلام -صدام الثقافة والحداثة ،بيروت ، دار الطليعة ،1995

2-صاموئيل هنتنغتون . صدام الحضارات، بيروت ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ،1995

- 3محمد عابد الجابري .مسألة الهوية -العروبة والاسلام والغرب .بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثانية ،1997

4- مكسيم رودنسون،مقدمة كتاب جاذبية الإسلام في هاشم صالح (ترجمة واعداد) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، بيروت ، دار الساقي ، 2000 .

- 5محمد أركون. الإسلام، أوروبا، الغرب -رهانات المعنى وارادات الهيمنة،ترجمة هاشم صالح، بيروت ، دار الساقي، 1995
- 6جودت السعيد وعبد الواحد علواني .الاسلام والغرب والديمقراطية ، بيروت دمشق ، دار الفكر المعاصر ، 1996
- 7روجيه غارودي . حوار الحضارات ، ترجمة عادل العوا، بيروت -باريس ، منشورات عويدات ،1978.
- 9-ادوارد سعيد ، الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ،1981.
- 10-----، تغطية الإسلام ،ترجمة سميرة نعيم خوري ،بيروت ،مؤسسة الأبحاث العربية ،1983

- 11-زكي ميلاد وتركي علي الربيعو، الإسلام والعرب الحاضر والمستقبل، بيروت -دمشق، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، 2001.
- 12مازن بن صالح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي -دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، الرياض، مطبوعات الملك فهد الوطنية، 1995
13-فريد هاليداي. الاسلام وخرافة المواجهة. ترجمة محمد مستجير. القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997.
14-بريان تيرنر. ماركس ونهاية الاستشراق. ترجمة يزيد صايغ، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية، 1981.
15-فتحي أبو العينين، "الثقافة العالمية ملاحظات حول آليات الهيمنة"، في أحمد زايد وسامية الخشاب (محرران) المجتمع المصري في ظل متغيرات النظام العالمي، منشورات كلية الآداب قسم علم الاجتماع بجامعة القاهرة، 1995.
16-عبد الرزاق قسوم. "حوار الحضارات عبر المنهج العقلي الرشدي". مجلة ابن رشد، الجزائر، دار النشر مارينور، (العدد الأول، ماي -جويلية 1998)
17-محي الدين صابر، " الحضارة العربية بوصفها حضارة عالمية البعد التاريخي واستشراف المستقبل"، ندوة هامبورغ. العلاقات بين الحضارتين العربية والأوروبية. تونس، الدار التونسية للنشر، 1983
18-الفين وهايدي توفلر، اشكال الصراعات المقبلة -حضارة المعلوماتية وما قبلها-، تعريب صلاح عبد الله، بيروت، دار الأزمنة الحديثة، 1998.
19-محمد لعقاب، "جون ماري لوبان:رجل هز العالم والجزائر ايضا"، جريدة البشروق اليومية، الجزائر، (عدد 449، 25افريل 2002)